

﴿وَلَيْسَتَعْفِیَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 33]

### ❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ تَزْوِيجَ الْحَرَائِرِ وَالْإِمَاءِ؛ ذَكَرَ حَالِ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ ذَلِكَ<sup>(1)</sup>، فَأَمَرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِالنُّهُوضِ بِمَسْأَلَةِ الْأَيَامَى، وَأَنْ يُعَانُوا عَلَى الزَّوْاجِ، وَبَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَقُمْ الْمُجْتَمَعُ بِدَوْرِهِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُوَلَاءِ الْأَيَامَى قُدْرَةٌ ذَاتِيَّةٌ عَلَى الزَّوْاجِ؛ فَلَيْسَتَعْفَفُ كُلُّ مَنْهُمْ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَ يَبْنِي أَحْكَامَهُ، وَيُرَاعِي كُلَّ الْأَحْوَالِ، سَوَاءَ أَطَاعُوا جَمِيعًا، أَمْ عَصَوْا جَمِيعًا<sup>(2)</sup>.

التَّشْرِيعُ يُرَاعِي  
جَمِيعَ الْأَحْوَالِ  
وَالْأَحْوَالِ

### ❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَلَيْسَتَعْفِیَ﴾: أَصْلُ (عَفَّ): الْكَفُّ عَنِ الْقَبِيحِ<sup>(3)</sup>، وَالْعِفَّةُ: حَصُولُ حَالَةٍ لِلنَّفْسِ، تَمْتَنِعُ بِهَا عَنْ غَلْبَةِ الشَّهْوَةِ، وَالْمُتَعَفِّفُ: الْمُتَعَاظِي لِذَلِكَ بِضَرْبٍ مِنَ الْمُمَارَسَةِ وَالْقَهْرِ، وَأَصْلُهُ: الْاِقْتِصَارُ عَلَى تَنَاوُلِ الشَّيْءِ الْقَلِيلِ الْجَارِي مَجْرَى الْعُصْفَةِ وَالْعِفَّةُ، وَهِيَ بَقِيَّةُ اللَّبَنِ

(1) الرازي، التفسير الكبير: 23 / 372.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 16 / 10264.

(3) ابن فارس، معياريس اللغة: (عف).

في الضَّرْعَ بَعْدَ أَنْ يُحْلَبَ أَكْثَرَ مَا فِيهِ<sup>(1)</sup>، ثم تقال للبقية من الشيء عموماً، والاستعفاف: طلب العفة<sup>(2)</sup>، وهو المراد في الآية.

(2) ﴿الْكَتَبَ﴾: (كتب) أصلٌ يدلُّ على جمعٍ شيءٍ إلى شيءٍ<sup>(3)</sup>، والمكاتب، وكتابة العبد: ابتياع نفسه من سيده بما يؤدِّيه من كسبه، فيعقده معه عقداً على مال بشرطٍ أنه إذا أداها؛ يُعتق، وأصله من الكتاب، يُرادُ بذلك الشرطُ الذي يُكتبُ بينهما<sup>(4)</sup>.

(3) ﴿فَتَيِّتَكُمْ﴾: (فتى) أصلٌ يدلُّ على طراوةٍ وجدةٍ<sup>(5)</sup>، والفتى: هو الطريُّ من الشباب، والأنثى فتاة، والمصدر فتاء، ويكنى بهما عن العبد والأمة، والمراد بـ﴿فَتَيِّتَكُمْ﴾ في الآية، أي: إماءكم<sup>(6)</sup>.

(4) ﴿الْبَغَاءَ﴾: البغاء من (بغى): وهو أصلاً: أحدهما: طلبُ الشيء، والثاني: جنسُ من الفسادِ<sup>(7)</sup>، وأكثر استعمال (البغي) في الأشياء المذمومة، لاسيما؛ إذا أُطلق، نحو: زيد بغي، وقد بغى زيد على عمرو<sup>(8)</sup>، يقال: بغيتَ وابتغيت، أي: طلبت أكثر مما يجب، وكل موضعٌ ذُكر فيه البغي؛ فلا بدَّ من معنى المجاوزة فيه، كقولهم: بغت المرأة، أي: تجاوزت في الفجور الحدَّ، وقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيِّتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾، أي: على الفجور؛ لأنهنَّ جاوزن ما ليس لهنَّ<sup>(9)</sup>.

### ❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

بعد أن بين الله سبحانه حال القادرين على النكاح ووسائله؛ بين حال العاجزين عن تلك الوسائل، فقال: وليجتهد في العفة وصون

(1) ابن منظور، اللسان: (عفف).

(2) الراغب، المفردات: (عف).

(3) ابن فارس، القاميس: (كتب).

(4) السمعاني، تفسير القرآن: 3/527، والراغب، المفردات: (كتب)، وابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص: 257.

(5) ابن فارس، القاميس: (فتى).

(6) الراغب، المفردات: (فتى).

(7) ابن فارس، القاميس: (بغى).

(8) السمين، عمدة الحفاظ: (بغى).

(9) الراغب، المفردات: (بغى).

الإصلاح الديني  
الصحيح هو  
الذي يضع  
الوقايات،  
ويوجد  
العلاجات

النَّفْسَ مَنْ لَا يَتَمَكَّنُ مِنَ الْمَالِ الَّذِي بِهِ يَتَمُّ النِّكَاحُ، وَلِيَنْتَظِرَ أَنْ يُعْنِيَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ حَتَّى يَصَلَ إِلَى بُغْيَتِهِ مِنَ النِّكَاحِ<sup>(1)</sup>، وَالَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَرَّرُوا مِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ بِمَكَاتِبَةِ أَسْيَادِهِمْ عَلَى بَعْضِ الْمَالِ يُوَدُّونَهُ إِلَيْهِمْ؛ فَعَلَى مَالِكِهِمْ أَنْ يَكَاتِبُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ عَلِمُوا فِيهِمْ خَيْرًا مِنْ رَشْدٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى الْكَسْبِ، وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ أَنْ يَسَاعِدُوهُمْ بِالْمَالِ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَجُوزُ لَكُمْ إِكْرَاهُ جَوَارِيكُمْ عَلَى الزَّنى طَلَبًا لِلْمَالِ، وَكَيْفَ يَقَعُ مِنْكُمْ ذَلِكَ، وَهَنْ يُرَدَّنَ الْعِفَّةُ، وَأَنْتُمْ تَأْبُونَهَا؟ وَفِي هَذَا غَايَةُ التَّشْنِيعِ لِفَعْلِهِمُ الْقَبِيحِ، وَمَنْ يُكْرِهَهُنَّ عَلَى الزَّنى؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ لِهِنَّ رَحِيمٌ بِهِنَّ، وَالْإِثْمُ عَلَى مَنْ أَكْرِهَهُنَّ<sup>(2)</sup>.

### ❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ﴾:

جملة ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ معطوفة على جملة: ﴿وَأَنْكِحُوا﴾؛ ليجمع في الأمر والتكليف بين خطاب القادرين، وخطاب العاجزين، كلُّ بما يُناسبه<sup>(3)</sup>، فيكون تشريع الله تعالى شاملاً للأحوال كلها، مراعيًا لجميع خلقه.

معنى اللام في ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ﴾:

اللام في: ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ﴾ لام الأمر، أي: فليبالغ في طلب العفة وإيجادها، وليألزموا العفاف في مدة انتظارهم تيسير النكاح لهم بأنفسهم أو بإذن أوليائهم ومواليهم<sup>(4)</sup>، وفي هذا إرشاد للعاجزين عن مبادي النكاح وأسبابها إلى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء، وهو الاستعفاف وقمع الشهوة<sup>(5)</sup>.

كُلُّ مَيَسَّرٍ  
لِمَا خُلِقَ لَهُ،  
وَالْعَبْدُ يَتَكَلَّفُ  
مَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ،  
فَيَعْجَزُ

ضَمِنَ اللَّهُ  
الْغِنَى فِي  
أَمْرِينِ النِّكَاحِ  
وَالِاسْتِعْفَافِ

(1) اللراغي، تفسير القرآن: 18/ 104.

(2) مجموعة من العلماء، التفسير لليسر، مجمع الملك فهد.

(3) صافي، الجدول: 9/ 259.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/218.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/172.

## نكتة المبالغة بالفعل بزيادة السين والتاء:

السين والتاء في قوله: ﴿وَلَيْسْتَ غَفِيْرٌ﴾ للطلب والمبالغة في الفعل، والطلب نفسه معناه المبالغة في الاجتهاد في الاتِّصاف بالغَفَّة، كأنَّ المستَغْفَّ طالبٌ من نفسه العفَافَ وحاملُها عليه<sup>(1)</sup>، فاستلزم معنى الطلب إفادة التأكيد والمبالغة، وفي قوله: ﴿وَلَيْسْتَ غَفِيْفٌ﴾ استعارة تمثيلية، حيث جعل العفيف عن الخنا في اجتهاده واستقامته، بمنزلة من جرَّد من نفسه شخصًا يطلب منه ذلك، فالتمثيل حاصلٌ بتشبيه حال العفيف في محاولة الاستقامة، بحال من يحرص على شيءٍ صعبٍ، فيطلبُه من غيره؛ ليُنْفِذَه له، بجامع الحرص في كُلِّ<sup>(2)</sup>.

## دلالة التَّفي بـ(لَا):

أوثر النفي بـ(لَا) في قوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾؛ للدلالة على الحال، أي: إنَّ الخطاب بالتعفُّف باعتبار الحال، أي: ليتعفَّف الآن من لا يجد نكاحًا، وأمَّا الاستقبال والاستمرار؛ فغيبٌ لا يُنَاطُ الخطاب الشرعيُّ به، بالنسبة للمخاطَب؛ لأنَّه غيرُ معلوم لديه، فالمعلوم لدى المخاطَب بالاستعفاف أنَّه لا يجد النِّكاح في الحال، وأمَّا استقبال ذلك واستمراره؛ فغير معلوم عنده؛ لهذا كان النفي في: ﴿لَا يَجِدُونَ﴾ للحال.

## دلالة فعل الوجود في: ﴿لَا يَجِدُونَ﴾:

الوجود في قوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ يعمُّ الوجود الحسِّي، بمعنى التحقق المادِّي، والوجود المعنوي، بمعنى: التحقق النفسي، بمعنى العلم بالشيء حالاً وصفةً، لا ذاتاً، فنفي الفعل ﴿يَجِدُونَ﴾ يدلُّ على نفي تحصيل أسباب النِّكاح الماديَّة، وعدم العثور عليها في حيازة العادم للنِّكاح، كمن لا يملك المال، ولا يملك سلامةَ البدن، وهذا

العَفَّة خلق  
ديني قويم  
يجتهد في طلبه  
كلُّ أبيِّ كريم

الخطاب  
الشرعي يُنَاط  
بالحال الحاضرة  
لا الغائبة،  
ومجيئه  
للاستقبال،  
يكون على إرادة  
الحال

النِّكاح لا بدَّ معه  
من استطاعة  
مادية ومعنويَّة

(1) الزمخشري، الكشاف: 237/3.

(2) القونوي، حاشية القونوي: 343/13.

وجدانٌ ماديٌّ، وكذلك الوجودُ المعنوي، كمن يملك المال، والجسم السليم، لكنه يجد من نفسه عدم الرغبة والإقبال لآفةٍ نفسيّةٍ،، فدلّ فعل (وجد) في الآية على الإمكان الماديّ والمعنويّ.

### نكتةٌ حذفٍ متعلّق الاستعفاف:

حُذِفَ متعلّق الاستعفاف - في قوله: ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ﴾، فلم يقل: يستغفِر عن أيّ شيء - لوضوحه، بقرينة صلة الموصول في قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، فإنّ التّعفّف إذا ذُكِرَ بإزاء عدم النّكاح؛ فإنّه لا يكون إلّا تعفّفًا عن الشّهوات المحرّمة وذرائعها.

### غرض التعبير بالاسم الموصول وصلته:

عبر بالموصول وصلته - في قوله: ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ - لتمييزهم أكمل تمييز، ويكأنّهم لعرفانهم بأنفسهم، وعرفان غيرهم بهم، صاروا في حيّز الاشتهار والعلم لدى المخاطب، وهكذا شأن كل من لم ينكح، فإنّه يُعرَف، ولا يخفى، لا سيّما غير الواجدين لإمكاناته، والمراد من الموصول الخاصّ: ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾: العموم، أي: وجب الاستعفاف على كل من لا يجد نكاحًا من المكلفين، ذكرًا أو أنثى، حرًا أو مملوكًا.

### بلادة المجاز في قوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾:

المراد بقوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، أي: المنكوح به، وهو المال، أو كل سبب يتحصّل النّكاح به، أو منكوحًا، وهو المرأة، أي: لا يجد امرأةً لأجل النّكاح، كمن يكون غنيًّا، ولا يجد امرأةً تقبل به، فأطلق المصدر، وأراد الموصوف المفعول، وهو مجازٌ مرسل، علاقته التعلّق الاشتقاقي، أو أطلق النّكاح، وأراد سببه على حذف المضاف، فأسند ما هو للمضاف إلى المضاف إليه، وهو مجازٌ عقلي، أو مجازٌ مرسل بتسمية الشيء وإرادة سببه، والعلاقة سببية<sup>(1)</sup>.

التعفّف هو  
صون الشيء  
عما يعقبه  
الأذى والضّرر

الاستعفاف أولى  
بمن لم يجد  
نكاحًا، وهو زينة  
واجبة لواجده

الوسائل  
تتكشف بها  
الحقائق للجرّة  
للأشياء

(1) القونوي، حاشية القونوي: 343 / 13، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 218 / 18، وابن عثيمين، تفسير سورة النور، ص: 207.

**بلغة الكناية في تركيب: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾:**

قوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ كناية عن لازمه، من عدم التمكن من فعل النكاح نفسه؛ لانعدام سببه الموصل له<sup>(1)</sup>.

**معنى ﴿حَتَّى﴾:**

﴿حَتَّى﴾ في قوله: ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ حرف غاية أو تعليل، والمعنيان حاصلان في جواب الأمر، أي: ليتعففوا إلى أن يغنيهم الله، فينكحوا، أو ليتعففوا لأجل أن يغنيهم الله بتيسير أسباب النكاح وزوال موانعه عنهم.

**فائدة جعل الإغناء غاية للأمر بالاستعفاف:**

في قوله: ﴿وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ جعل الإغناء من فضله غاية للاستعفاف، فأشار بذلك إلى أن العفة سبب الغنى، وفائدة تلك الغاية من وجوه:

**الأول:** أن يتوقع المتعفف، ويؤمل باستغفاه موعود الله له بالإغناء والإفضال عليه من حيث لا يحتسب، فيكون ذلك أثبت لعفته وأربط على قلبه.

**الثاني:** ألا يستعجل المتعفف بالنكاح قبل إغنائه.

**الثالث:** التنبيه على أن أهل العفة أولى وأقرب إلى فضل الله من غيرهم، فإن ترتيب الإغناء على الاستعفاف مؤذن بجعله علة له<sup>(2)</sup>.

**موقع جملة: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾:**

جملة ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ استئنافية؛ لبيان حكم المكاتبين من العبيد والإماء، إذا أرادوا الاكتتاب لتحرير أنفسهم من الرق؛ ليتصرفوا في أنفسهم، فلا يكونوا عالة على أسيادهم في تزويجهم

بالصبر ثنال  
الوعود ويحصل  
المقصود

ليس للإحسان  
جزاء إلا  
الإحسان

بذل الجهود  
لاكتساب  
الحرية وتحطيم  
القيود

(1) القونوي، حاشية القونوي: 13/ 343.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 238، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 39، وأبو السعود، إرشاد العقل

السليم: 6/ 172.

والإنفاق عليهم، ويصحُّ أن تكونَ الواو للعطف، عطفَ جملةٍ على جملةٍ وحالٍ على حال، كأنَّه قيل: (وأنكحوا الصالحين من عبادكم وإمائكم، وكاتبوا الذين يبتغون الكتاب منهم؛ إذا طلبوا الحرية والانعقاد من الرقِّ)<sup>(1)</sup>.

### غرض التعبير بالاسم الموصول وصلته:

تعريفُ المكاتبين بالصِّلة - في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ - للاهتمام بشأنهم، وللبعث لمواليهم أن يلتفتوا إليهم، ويُعنوا بمسألتهم وحاجتهم، فالتعبير عنهم بالموصول وصلته مميّزهم أكمل تمييز، ودلٌّ على اشتغالهم بمضمون تلك الصِّلة عند المخاطب، فلم يتبقَّ لمواليهم إلَّا أن يستجيبوا لهم في ابتغائهم، وينهضوا، ويُسارعوا في ذلك.

### دلالة التعبير بـ﴿يَبْتَغُونَ﴾:

التعبيرُ بقوله: ﴿يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾؛ للدلالة على حرص هؤلاء الأرقاء على فداء أنفسهم من العبودية، فهم لا يطلبون ذلك فحسب، بل يطلبونه أكثر ممَّا يجب، فالتعبيرُ بالابتغاء لتصوير أنَّ ذلك مطلبٌ ملحٌّ، فصار ممَّا يُجْتَهِدُ في تحصيله<sup>(2)</sup>.

### معنى (أل) في ﴿الْكِتَابَ﴾:

(أل) في ﴿الْكِتَابَ﴾، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ للعهد، أي: كتاب العتق، سواء كان الكتاب مصدرَ: كَاتَبَ كالمكاتبة، يقال: كَاتَبَ يَكَاتِبُ كِتَابًا، ومكاتبة، كما يقال: قَاتِلٌ يُقَاتِلُ قِتَالًا، ومُقَاتِلَةٌ، أم كان الكتاب - هاهنا - اسمَ عَيْنٍ للكتاب الذي يُكْتَبُ فيه الشيء، وذلك لأنَّهم كانوا إذا كاتبوا العبد؛ كتبوا عليه وعلى أنفسهم بذلك كتابًا، فيكون المعنى: الذين يطلبون كتابَ المكاتبة.

من ابتغى  
للعالي؛ ألحق  
نفسه بالفئة  
المميّزة

الحرية أعزُّ ما  
يُطلب، وأجلُّ  
ما يوضع لأجله  
الفداء

الكتاب هو  
العقد المكتوب  
بين طرفين على  
اتفاقٍ مخصوص

(1) أبو حيان، البحر المحیط: 39/8، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 219/18.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 268/13، والسمين، عمدة الحفاظ: (بغى).

المكاتبة وسيلة  
شريفة لتحقيق  
غاية منيفة

(ما) تدل على  
عموم الجنس  
العبد والأمة

أسند الملك إلى  
اليمن لعوذه  
بالنفع واليمن  
على صاحبه

### بلاغة المجاز في التعبير عن الخلوص من الرق بالكتاب:

قوله: ﴿يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ - أي: يطلبون الحرية، فأطلق الكتاب، وأراد الحرية - مجازاً مرسل علاقته الملزومية؛ لأنه إذا وجدت المكاتبة؛ وجد الخلاص من الرق، ويصح أن تكون العلاقة سببية؛ لأن الكتابة سبب للعق.

معنى (من) و(ما) في قوله: ﴿مِمَّا﴾:

(من) في قوله: ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بيانية؛ لبيان الإبهام في مفهوم الموصول والضمير في: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾، و(ما) في قوله: ﴿مِمَّا مَلَكَتْ﴾ موصول لصفات العقلاء، وهو الرق، واستعملت (ما) دون (من)؛ لخلوهم من الاختيار، وهم مُسْتَرْقُونَ مملوكون، فتشابهوا بذلك مع ذوات من لا يعقل في انتزاع الإرادة وقابلية التسخير، ولذا عبّر عنهم بالموصول الخاص بذوات العقلاء في مقام ما يدل على الإرادة والكمال، وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

بلاغة التعبير بقوله: ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾:

التعبير بالملك - وإسناده إلى أيمن المخاطبين - كناية عن لازمه من إثبات الملك للبشر، والتعبير باليمين دون غيره تغليب للجزء على الكل؛ لأن اليد اليمنى هي الآلة الغالبة في الأخذ والإعطاء وتناول ما يملك، وإلا فقد يحصل تناول بالشمال أيضاً، مع ما في إسناد الملكية إلى اليمن من مبركة الملك، والإشارة إلى أنه لما كان الملك خالص النفع لصاحبه؛ كان عائداً باليمن والفأل عليه، فاستحق أن يُنسب إلى اليمن، ففي التعبير بالأيمن مجازاً مرسل علاقته الجزئية، أطلق الجزء (اليمن) وأراد الكل؛ لأن الإنسان يملك كله وكامله، ويحوز ممتلكاته بكامل ما يقع به الحوز، وليس باليمين فقط<sup>(2)</sup>.

(1) البضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 106، والبقاعي، نظم الدرر: 13/ 268.

(2) ابن عثيمين، تفسير سورة النور، ص: 210.

## عِلَّةُ اقترانِ الفاء بقوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾:

اقترنَتِ الفاء بخبر الموصول في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ لتضمين الموصول: ﴿وَالَّذِينَ﴾ معنى الشرط، والفاء للتسبيب والتسريع، كأنه جعل الخبر مُترتباً على مضمون جملة الصلة بمجرد تحققها؛ إيداناً بتسريع استجابتهم بمكاتبتهم فور ابتغائهم، كما يعقبُ المشروط الشرط، ويترتب عليه<sup>(1)</sup>.

## دلالة الأمر في قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾:

وفي إلحاق الفاء بالخبر إشارة إلى استحقاق العبيد في إنجاز تلك المكاتبة، بما يؤذن بإيجاب ذلك الإنجاز على أسيادهم، ويحتمل أن يكون الأمر في: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ للنذب؛ لأنَّ المكاتبة كالبيع، فهي بمنزلة أن يبيع السيد عبده إلى العبد نفسه، ويبيع الملك ليس واجباً، فكذا المكاتبة<sup>(2)</sup>.

## نكتة الاشتراط بـ ﴿إِنْ﴾ دون ﴿إِذَا﴾:

الاشتراط بـ ﴿إِنْ﴾ دون ﴿إِذَا﴾ في قوله: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾؛ للإشارة إلى أنَّ الشرط لا مفهوم له، لتكون المكاتبة مُعلَّقة على مُحتمل غير مقطوع به، وغير لازم أن يطرِد في علمهم أن في المكاتبين خيراً، فقد يخفى الخير، ويلتبس الظاهر، ويتعذر التثبت والاطلاع<sup>(3)</sup>، فاشترط بـ ﴿إِنْ﴾ لاحتمال أن يتعذر علمهم، فلا يمنعهم ذلك عن إنجاز المعروف والفضل بمكاتبتهم، فعدم الشرط هنا لا يمنع تحصيل المكاتبة، لكنه ينفي وجوبها أو استحبابها<sup>(4)</sup>.

## فائدة تقييد المكاتبة بالشرط:

تقييد الأمر بالمكاتبة بالشرط في قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ

إقالة العثرات  
بالمسارعة في  
الخبرات

الإقبال على  
فعل الخير مع  
الإعانة عليه  
من سمات أهل  
الفضل

من الفضل  
إعانة المكاتبين  
على كل حال،  
ولو بُني توسم  
الخير فيهم على  
مجرد الاحتمال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 219 / 18، والخطيب، التفصيل في الإعراب: 210 / 18.

(2) ابن جزي، التسهيل في علوم التنزيل: 68 / 2.

(3) فاضل السامرائي، معاني النحو: 7 / 2.

(4) القونوي، حاشية القونوي: 348 / 31.

من موانع  
المكاتبة تحقق  
حصول الشر  
بسببها

الخير هنا ما  
تعلق بالحال  
قبل المال

الخير في العبد  
ما يسره إلى  
صلاحه في عموم  
شؤونه

فئات المجتمع  
كافة مخاطبة  
بكفالة اللّي  
لخالي الوفاض

**خَيْرًا**؛ للدلالة على نفي الحكم عند ثبوت مفهومه المضاد، يعني: لو عَلِمَ أَنَّ في مكاتبته شرًا ومفسدة؛ لكانت مكاتبته له غير جائزة، وأما عدم العلم بالخير من غير ثبوت ضده، وهو العلم بتحقيق الشر؛ فليس يصلح مفهومًا تنتفي به المكاتبة، بل هو مفهومٌ ينفي وجوبها أو استحبابها، ولا ينفي الجواز<sup>(1)</sup>.

**دلالة التعبير بالظرفية في قوله: ﴿فِيهِمْ﴾ وعود الضمير:**

الضمير في قوله: ﴿فِيهِمْ خَيْرًا﴾ للذين يبتغون الكتاب من الأرقاء، وعبر بالظرفية، ولم يقل: (إن علمتم لهم خيرًا، أو منهم خيرًا)؛ للدلالة على أن المراد بالخير هو ما تعلق بالحال، لا بالمال، والمراد: إن ثبت لديكم أهليتهم وصلاحتهم على عقد المكاتبة والوفاء به<sup>(2)</sup>.

**نكتة تقديم شبه الجملة ﴿فِيهِمْ﴾ على المفعول:**

قدّم الجار والمجرور على المفعول في قوله: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾؛ للاهتمام والعناية بالمكاتبين؛ لأنّهم موضوع العلم في قوله: ﴿عَلِمْتُمْ﴾.

**نكتة تنكير ﴿خَيْرًا﴾:**

تنكير ﴿خَيْرًا﴾ في قوله: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ للعموم، أي: خيرًا في عموم حالهم من الصّلاح الدّيني، والصّلاح المادّي للكسب، والصّلاح النّفسي للأهليّة والسّواء الطّبعي، ويصحّ أن يكون التّنكير للتقليل، أي: إن علمتم فيهم شيئًا من خيرٍ يصلح معه أن يُكاتبوا من غير مفسدةٍ تتعارض مع إنفاذ مصلحتهم في العتق.

**للمخاطب في قوله: ﴿وَعَاثُوهُمْ﴾:**

المخاطب في قوله سبحانه: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ﴾، يحتمل أن يكون خطابًا للناس أجمعين، وقيل للولاة، ويحتمل أن يكون خطابًا لسادات

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة النور، ص: 211.

(2) الجصاص، أحكام القرآن: 181/5، وابن جزي، التسهيل في علوم التنزيل: 69/2.

المكاتبين، فإن كان الأمر للناس؛ فالمعنى: أن يعطوهم صدقاتٍ من أموالهم، ليستعينوا بها على أداء المكاتبِ وإنجاز العتق، ويؤيد ذلك أنَّ معاونة المُكاتب على العتق من مصارف الزكاة، كما قال تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 60]، والمُكاتب يندرج تحت هذه الثلاثة، وإن كان الخطاب للولاة، فالمعنى: أن يعطوهم من الزكاة؛ لأنَّها تحت أيديهم، وإن كان الخطاب للسادات؛ فالمراد: أن يحطوا عنهم من كتابتهم، أي: يتسامحوا معهم في ثَمَنِ العتق، كَلِّه أو بعضه، وقيل: يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة؛ ليكونَ هذا المالُ إعانةً من السيد إلى عتيقه، يستعين به على مطالب الحياة<sup>(1)</sup>.

#### دلالة الأمر في قوله: ﴿وَعَاثُوهُمْ﴾:

الأمر في قوله سبحانه: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ﴾، إن كان لعموم الناس؛ فهو للندب، وإن كان لسادات المُكاتبين؛ فيدور بين الندب والوجوب، والوجوب أظهر؛ لتطُّع التشريع إلى العتق وإزالة الرقِّ؛ ولأنَّ العتق هو إعادة الإنسان إلى الأصل، فالأصلُ في الإنسان أن يكون حرًّا، والرقُّ طارئٌ على حقيقته، فتجب إزالته، فكان كلُّ ما أدَّى إلى تلك الإزالة واجبًا كذلك.

#### معنى ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن مَّالِ اللَّهِ﴾:

﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ﴾ للتَّبْعِيض، أي: وآتوهم بعضَ مالِ الله الذي آتاكم؛ لأنَّ الإيتاء منوطٌ ببعض المال، لا كَلِّه.

#### نكتة إضافة المال إلى لفظ الجلالة:

إضافة المال إلى اسم الذات الجليل، في قوله: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ﴾؛ تنشيطاً لهم على إنفاقه، بتذكيرهم أنَّ المال في حقيقته هو لله، لا لهم، إنَّما هم - فقط - مستخلفون عليه، فكان حقًّا عليهم

الأصل في  
الإنسان  
الحرية، والرقُّ  
طارئ عليه

رايقُ المالِ أولى  
بتحديد مصارفه

(1) ابن جزي، التسهيل في علوم التنزيل: 69/2.

بمقتضى هذا الاستخلاف أن يعطوه لعيال الله تعالى، وهم الفقراء الأرقاء الذين يستعينون به على فك رقابهم، وفي إضافة المال إلى الله في مقام الأمر بإنفاقه تسجيل على المخاطبين بأنهم إذا لم يؤتوه باختيارهم في مواضع الفضل؛ فالله قادر على استرداد ماله منهم بالقهر والإفقار لهم؛ إذا أمسكوا، وفي الإضافة أيضاً تحفيز إلى الإيتاء وترغيب فيما هو أوسع من إيتائهم؛ لأنه إذا كان مال الله - وهو الذي أعطاهم كله تفضلاً منه ابتداء - فكيف إذا سألهم بعضه؛ فأتوا منه شيئاً لإعتاق عبيده؛ فكما تفضل به عليهم ابتداءً، فسيتمفضل عليهم بأضعاف ما أتوه ثواباً وجزاءً، وفي إضافة المال إليه سبحانه - أيضاً - إشارة إلى أنه لا منة لهم على العبيد في إعتاقهم أو إعانتهم؛ لأن المال الذي بأيديهم هو مال الله، فالمنة له سبحانه وحده، وفيه - أيضاً - إيحاء إلى أن الإعطاء من ذلك المال شكر، والإمسك جحد للنعمة، قد يتعرض به الممسك لتسلب النعمة عنه<sup>(1)</sup>.

### نكتة التعبير بالاسم الموصول وصلته ﴿الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾:

الله يبتلي بالمال  
بعض خلقه  
بخلقِهِ

جملة: ﴿الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ صفة لاسم الجلالة، أو صفة للمال المعروف بالإضافة في قوله: ﴿مَالِ اللَّهِ﴾، وفائدة الموصول: التوسل به إلى وصف المعرفة بالجملة، وفيه تعظيم مضمون الصلة، وفائدة التقييد به: التنبيه على أنهم متمكنون من المال؛ لأنه داخل في حيازتهم وملكيّتهم بإيتاء الله لهم إياه، ولو قال: (وآتوهم من مال الله)؛ لم يدل على تمكّنهم من هذا المال من عدمه<sup>(2)</sup>.

### دلالة التعبير بالإيتاء دون (الحط):

من احتمالات التفسير في قوله: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 221/18، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5190/10، وابن عثيمين، تفسير سورة النور، ص: 218.

(2) الخطيب، التفصيل في الإعراب: 211/18.

ما أُطْلِقَ عليه  
الإعطاء؛ كان  
سبيله الصَّدَقَةُ

﴿أَتَلْكُم﴾ - على اعتبار أن الخطاب للسَّادات - أن المراد بالإيتاء: أن يحطَّ السيّد عن عبده جزءًا من قيمة المُكاتبَة، فيتسامح معه في مُقابلها من المال، فلا يستوفيه منه، وهذا المعنى جارٍ على جهة المجاز لا الحقيقة، بجعل الإيتاء لهم كنايةً عن تسامح الأسياد معهم بإعفائهم في قَدَرٍ من مال المُكاتبَة، وأمّا المعنى على الحقيقة؛ فهو أن يعطي السيّد عبده مالا يقبضه منه، كإعانة خارج اتِّفاق المُكاتبَة، حتّى لو استعان العبدُ به بعد قبضه على إتمام مُكاتبَتِه، ولو كان المرادُ بالإيتاء الحطُّ والإعفاء حقيقةً؛ لوجب أن تكون العبارة: (ضَعُوا عنهم، أو اعفُوهم)، فلمّا قال: ﴿وَأَتَوْهُمْ﴾؛ دلّ على أنّه من الزكاة أو التطوُّع؛ إذ هما مناولَة وإعطاء، ويؤكِّده أنّه أمرٌ بإعطاء، وما أُطْلِقَ عليه الإعطاء؛ كان سبيله الصَّدَقَةُ<sup>(1)</sup>.

موقع جملة: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾:

جملة ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ استثنائيةٌ، والواو للاستئناف؛ وذلك للانتقال إلى تشريع جديد يخصُّ صيانة الإماء من الإناث، وحفظ أعراضهنَّ من آفات الفواحش والخنا، بعد أن شرّع للأرقاء من الذُّكور ما يرفع عنهم حرج العبوديّة ونقص العِرض والحال،

التَّوْغِيبُ في  
إعانة الموالى على  
الإنفاق والإعتاق  
وحفظ الأعراض

ويجوز كون الواو عاطفةً لهذه الجملة على جملة ﴿وَأَنْكِحُوا﴾؛ بقصد الجمع بينهما في التكليف.

دلالة النّهي بقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا﴾:

النّهي في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾؛ للتحريم لتعلُّقه بمحرّم، وهو الزّنى، فكان الإكراه عليه محرّمًا كذلك.

الإكراه على  
الحرام حرامٌ

(1) أبو حيان، البحر للحيط: 40 / 8.

**دلالة الخطاب في قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا﴾:**

الخطاب في قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ للسادات مع إمائهم من النساء، ووجه إلى السادات الخطاب بهذا؛ للتشديد على عدم استخدامهن في البغاء، وللإنكار على واقع كان موجوداً في الجاهلية.

**دلالة التعبير بـ ﴿فَتَيَاتِكُمْ﴾:**

التعبير عن الإماء بالفتوة في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾، ولم يقل: (إمائكم)؛ لمناسبة اللفظ لمقام البغاء المذكور، فإن المرأة الفتية الشابة هي التي تُطلب في هذا الغرض، وهي أعلى كسباً فيه من غيرها، وأيضاً التعبير عنهن بوصف الفتوة تخجيل لساتيتهن من أن يهدروا زهرات بناتهن وأعراضهن في مسلك السوء، فالأمة لسيدها عرضة وأمانته، كالبنات لأبيها؛ ولذا أضاف الفتيات إلى ضميرهم، في قوله: ﴿فَتَيَاتِكُمْ﴾؛ لاستنهاضهم على ما هو أولى بهم في حقهن، وهو وقايتهم لأعراضهن، وليس التفريط فيهن<sup>(1)</sup>.

**نكتة تعدية الإكراه بـ ﴿عَلَى﴾:**

تعدية الإكراه بحرف الاستعلاء، في قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾؛ لكونه إجباراً وتسليطاً من قبل من يملك، وهذا هو محض الاستعلاء، فحق أن يتعدى بـ ﴿عَلَى﴾، والاستعلاء مجازي.

**معنى (أل) في ﴿الْبِغَاءِ﴾:**

(أل) في لفظ ﴿الْبِغَاءِ﴾ لتعريف حقيقة الجنس وماهيته، والمراد (الزنى)، ويصح أن تكون للعهد باستحضار الانتقال الدلالي؛ إذ البغاء في أصله هو طلب الشيء، ثم استعمل في الطلب المذموم، ثم سمي به الزنى والفاحشة، فانتقل اللفظ من العموم إلى الخصوص، فبهذا الاعتبار تكون (أل) فيه عهدية.

تنزيل الفتيات  
للوكات  
منزلة البنات  
الصلبيات في  
وجوب المحافظة  
على أعراضهن

الإكراه هو  
استعلاء على  
الإرادة المختارة  
بالقيد والحجب

البغاء  
مخصوص  
بابتغاء التكسب

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 173، والبقاعي، نظم الدرر: 13/ 269.

## دلالة التعبير بـ ﴿الْبَغَاءُ﴾ مادة وصيغة:

﴿الْبَغَاءُ﴾ مصدرٌ (بَغَتِ المرأةُ تَبْغِي بَغَاءً؛ إِذَا زَنَتْ، وَفَجَرَتْ)، ووزنه (فِعَالٌ) يدلُّ على قُرْبِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، كما هو حاصلٌ في البِغَاءِ<sup>(1)</sup>، وهذا اللَّقْبُ مختصٌّ بزنى النساءِ، فلا يُقال: لِلرَّجُلِ إِذَا زَنَى: إِنَّهُ بَغِيٌّ<sup>(2)</sup>، والعِلَّةُ في ذلك: أَنَّ عَادَةَ الرَّجُلِ أَنْ يَطْلُبَ هُوَ النِّسَاءَ، فإذا زنى؛ فيقال له: زَانٍ، وأمَّا المرأةُ الفاجرةُ إِذَا اعتادت الزَّنى، وَتَكَسَّبَتْ مِنْهُ؛ صَارَتْ بِذَلِكَ طَالِبَةً لِلْخَنَاءِ وَالرَّجَالِ؛ لِأَنَّهَا جَعَلَتْ الرِّجَالَ مَطْلِبَهَا وَتِجَارَتَهَا، فَقِيلَ لَهَا: بَاغِيَةٌ وَبَغِيٌّ، تَعْرِضًا بِأَنَّهَا مِنَ الْإِنْتِكَاسَةِ بِحَيْثُ صَارَتْ هِيَ الطَّالِبَةُ، لَا الْمَطْلُوبَةُ، وَصَارَتْ تَجْتَهِدُ فِي هَذَا الطَّلَبِ، وَتَحْتَرِفُهُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى حَدِّ ابْتِغَائِهِ وَالْحَرَصِ عَلَى تَحْصِيلِهِ، وَلَمْ يَنْحَتُوا لِلرَّجُلِ الزَّانِي هَذَا الْوَصْفَ؛ لَكُونِهِ لَيْسَ مُنْتَكِسًا بِطَبْعِهِ، وَإِنْ انْتَكَسَ بِفُحْشِهِ، وَلَكُونِ الرَّجُلِ الزَّانِي - عَادَةً - لَا يَبْتَغِي بَزْنَاهُ الْأُجْرَةَ، بِخِلَافِ الْمَرْأَةِ الْبَغِيِّ.

## بلغة التعبير بلفظ ﴿الْبَغَاءُ﴾ دون لفظ (الزنى):

سَلَّطَ الْإِكْرَاهَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ على لفظ البِغَاءِ، دون لفظ الزَّنى؛ لِأَنَّهُ إِكْرَاهٌ عَلَى زَنْىٍ مُخْصِصٌ، وَهُوَ الَّذِي تُبْتَغَى فِيهِ الْأُجْرَةُ، وَيُتَكَسَّبُ مِنْهُ، وَلَفْظُهُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ الْمَعَاوِرَ: (الدَّعَاةُ).

## إجراء التركيب على مجاز الحذف:

فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾، الْإِكْرَاهُ لَا يَقَعُ عَلَى نَفْسِ الْبِغَاءِ، أَيِ: الْفِعْلِ، فَلَا يُفْعَلُ بِهَا الزَّنى بِلَا فِعْلٍ مِنْهَا، بَلِ الْمُرَادُ: الْإِكْرَاهُ عَلَى التَّكْسُّبِ مِنَ الْبِغَاءِ وَامْتِهَانِهِ، فَالْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، فَهِيَ تُكْرَهُ عَلَى اقْتِحَامِ هَذَا السَّبِيلِ مِنْ سَيِّدِهَا، حَتَّى

البغاء وصف  
خاص بزنى المرأة  
الفاجرة المتاجرة  
بعرضها

البِغَاءُ هُوَ زَنْىٌ  
تُبْتَغَى فِيهِ  
الْأُجْرَةُ

عازٌّ على الحر  
أن يطلب المال  
بأعراض النساء

(1) فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ص: 26.

(2) السمين، الدر للصون: 401/8.

تقصد ذلك، وتفعله، ولهذا سمّاه بغاءً؛ لِتَحَقُّقِ الطَّلَبِ والقصد منها بعد إكراهها على امتهانه، فالابتغاء على هذا الاعتبار قد يحصل منها في الفعل عند مُلابسة السَّوء، وإن لم يحصل منها في ابتغاء الكسب، وإنشاء الشُّروع في سبيل الفاحشة<sup>(1)</sup>.

### دلالة الشَّرْطِ بقوله: ﴿إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنَا﴾:

للرَّاءِ تُعَانُ على  
الإحصان، ولا  
تُسَلِّمُ أو تُخْذَلُ

تقييد النَّهي عن الإكراه بشرط إرادة التحصُّن في قوله: ﴿إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنَا﴾ هو شرطٌ خرج مخرج الغالب، فلا مفهوم له؛ لأنَّ إرادة التحصُّن هي غالب أحوال الإماء البغايا المؤمنات؛ إذ كُنَّ يُحِبِّبْنَ التَّعَفُّفَ<sup>(2)</sup>، أو تعبيراً عن الواقع، كما تشهد بذلك أسبابُ النُّزول، فالشَّرْطُ هنا، كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَاطِلًا﴾<sup>(3)</sup>، على حكاية غالب أحوالهم في أكل الرِّبَا، مع ثبوت حرمة الرِّبَا ولو كان ضعفاً واحداً، كذلك هنا، فالإكراه على البغاء حرام سواء أُرِدْنَ تَحْصُنَا أم لم يردن ذلك؛ لأنَّ الحرمة ثابتةٌ في فعل الإكراه نفسه على البغاء المحرَّم، بل الحرمة ثابتةٌ في مجرد أمر الآخر بالبغاء، ولو لم يكن إكراهاً، فهنا الحرمة تتعلَّقُ بفعل الفاعل، وهم المخاطَّبون بالنَّهي عن الإكراه، وأمَّا القيدُ المذكور، وهو قوله: ﴿إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنَا﴾؛ فهو لتحقيق معنى الإكراه؛ لأنَّ كلَّ إكراهٍ على فعل، لابدَّ أن يتزامن مع إرادة مُضَادَّةٍ لهذا الفعل، فلا يُقال: فلانٌ أَكْرَهَ على الأكل، إلَّا وهو لحظة إكراهه مُتَأَبِّبٌ عن الطَّعام، ولا عبرة لما بعد زمن الإكراه، هل هو يريد الأكل فعلاً أو لا، فالأمة قد لا تريد التحصُّن في عموم أحوالها، ولكن مع ذلك يقع إكراهها على البغاء؛ لأنَّها تتأبَّى في زمن الإكراه، وتأبِّيها في زمن الإكراه هو إرادةٌ لُصْدُ الفعل، وهو إرادة التحصُّن في ذلك الوقت، ولذا فهي مُكْرَهَةٌ على

(1) ابن تيمية، الاستقامة: 2/ 343.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 226.

ضد إرادتها، وإرادتها في ذلك الوقت هي التحصن في الحال عن الزنى، فالعبرة إذاً في أن يتزامن الإكراه في الحصول مع ضده في إرادة المَكْرَه، ولا عبرة لما بعد هذا الزمن.

### نكتة التعبير بـ ﴿إِنْ﴾ دون (إذا):

إيثار ﴿إِنْ﴾ على (إذا) في قوله: ﴿إِنْ أَرَدَنْ تَحَصَّنَا﴾؛ للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه، عند كون إرادة التحصن في حيِّز التردد والشك، فكيف إذا كانت محققة الوقوع، كما هو الواقع؟ فكان الإتيان بحرف الشك زيادة توبيخ لهم، ولا يقال: إن الإتيان بحرف الشك دون أداة التحقق؛ لأن إرادة التحصن من الإماء كالشاذ النادر، فهذا مردود هنا؛ لتحقيق الإرادة في مورد النص حتمًا، بقوله: ﴿أَرَدَنْ﴾، مع ما في الحكم بندرة التحصن في الإماء من الرجم المتسلف الذي لا ضابط له.

### دلالة التعبير بـ ﴿تَحَصَّنَا﴾:

التعبير بصيغة (التفعل) في قوله: ﴿تَحَصَّنَا﴾ لوصف قوة الفعل، والتكلف فيه، والمجاهدة منهن في تحصيله إزاء الإكراه الممارس عليهن من أسيادهن، فلمناسبة الإكراه اقتضى التعبير بما يجابهه في قوة دفعه، بتكلف ضده، فقوة الإكراه في فعل المَكْرَه (الفاعل)، لا بد أن يكون معها شدة في فعل المَكْرَه (المفعول)؛ إذ لولا أن المجبر متشبث في فعله؛ لما حصل الإكراه أصلاً على ضد فعله، فالإكراه حاصل لشخص لا يطاوع، وعدم المطاوعة تستلزم شدة في فعل الممتنع عن المطاوعة، كذلك في صيغة (التفعل) في قوله: ﴿تَحَصَّنَا﴾ إيماء إلى مدح الإماء؛ لأنه يُنبئ به عن عفة بالغة منهن، كأنهن لا يُردن إحصاناً عادياً، بل يردن تحصناً مخصوصاً، فالتحصن درجة عالية حريصة في الإحصان.

إرادة التحصن  
والتحفظ  
سمة تشعر  
بخصوصية  
الإنسان

المكْرَه مطاوع في  
الفعل الظاهر  
بالإجبار دون  
القصد الباطن  
بالاختيار

## غرض تنكير: ﴿تَحْصَنًا﴾:

التَّحَصُّنُ هو  
احتِجَابٌ في  
حِصْنِ الْعِفَّةِ  
واحْتِمَاءٍ  
بِجَلَالِيبِ  
الاحتشام

التَّكْيِيرُ في: ﴿تَحْصَنًا﴾ للمبالغة والتعظيم والتكثير، أي: عِفَّةٌ بالغة التحفُّظ والاحتراز من السَّوء والفُحْش، أو لتعظيم قدر التحصُّن نفسه وتفخيم أمره، ولعلَّه للتقليل لإفادة أنَّ المقصود إبداء أيَّ إرادة للتحصُّن.

## معنى اللام في قوله: ﴿لَتَبْتَغُوا﴾:

التعريض بالوَيِّ  
في عدم إرادته  
إحْصَانٌ حَرَمِيهِ،  
فَضْلًا عن إرادته  
إِخْرَاجُهُم عن  
الإحْصَانِ

(اللام) في قوله: ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ للتَّعْلِيل، و(تبتغوا) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والمصدر المؤوَّل من (أَنْ) والفعل، في محلٍّ جرٍّ باللام متعلِّق بـ﴿وَلَا تُكْرِهُوا﴾<sup>(1)</sup>، أي: لا تكرهوهنَّ لهذه العلة، والقيد بهذه العلة، كالقيد في قوله: ﴿إِنْ أَرَدَنْ تَحْصَنًا﴾، فليست هذه العلة هي باعث النهي على الإكراه، بل هي مذكورة باعتبار أنَّها الغرض الغالب فيما بينهم؛ إذا استأجروا فتياتهم في البغاء، ومذكورة تشنيعًا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير، لأجل النَّزَرِ الحَقِيرِ<sup>(2)</sup>.

## دلالة التعبير بقوله: ﴿عَرَضٌ﴾:

تتوالى جوانبُ  
الدُّنْيَا عليك،  
فلا يستقرُّ منها  
جانبٌ لك

العَرَضُ: هو ما لا يكون له ثبات، ومنه استُعير العَرَضُ لما لا ثبات له إلَّا بالجواهر كاللون والطَّعم، وقيل: الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ؛ تنبيهًا على أنَّه لا ثبات لها، والعَرَضُ: طَمَعُ الدُّنْيَا، قليلًا كان أو كثيرًا، وسمِّي بذلك؛ لأنَّه يَعْرِضُ، أي: يلوح، ويظهر، ثُمَّ يَعْرِضُ، أي: يزول، ويتلاشى، ثُمَّ يَعْرِضُ غَيْرُهُ، وهكذا دواليك، فهو عارضٌ يُرِيكَ عَرَضَهُ، أي: تظهر الدنيا بجانب منها حَسَنٌ، ثُمَّ تظهر بجانب منها قَبِيحٌ، فجميع أحوالها عَارِضَةٌ، تتوالى عليك جوانبها، فلا يستقرُّ جانبٌ منها لك، ومن هذا أُخِذَ معنى سُرْعَةِ زوالها، وقُرِبَ

(1) الجدول، صافي: 259/9.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 173/6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 227/18.

اضمحلالها، فإسنادُ العَرَضِ إلى الدُّنيا في قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تهوينٌ منهم وقدحٌ في مُروءتهم أن يبيعوا عِرْضَهُم من الإماء، اللاتي هنَّ موضع مدحهم ووعاء كرامتهم، بِعَرَضِ الدنيا الدنيئة بأثمانها الرّائلة، ومتاعها السّريع في انقضائه واضمحلاله، فالشّريف لا يبيع عِرْضَهُ وَحَرِيمَهُ بِعَرَضِ دُنْيَاه<sup>(1)</sup>.

### فائدة إضافة العرض إلى الحياة الدُّنيا:

إضافة العرض إلى الحياة - في قوله سبحانه: ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ - للتّحقير من شأنه، فهو عرض زائل كزوال ما تعلّق به، وهو الحياة الدنيا كلّها.

العَرَضُ مَنْقُوصٌ  
وهو مباح،  
فكيف إذا كان  
حراماً؟

### معنى الواو في قوله: ﴿وَمَنْ يُكْرِهَنَّ﴾:

جملة: ﴿وَمَنْ يُكْرِهَنَّ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ سيقّت لتقرير النّهْي، وتأكيد وجوب العمل به، ببيان إبراء الفتيات المُكْرَهات من عقوبة المُكْرِه عليه - وهو البِغَاء - بنصّ العبارة، ورجوع غائلة الإكراه ووزره على المُكْرِهَيْن، بطريق الإشارة<sup>(2)</sup>.

المُكْرِه بريء،  
والبراءة تثبت  
بالقصد

### معنى (مَنْ):

(مَنْ) اسمٌ شرطٍ جازم دالٌّ على ذوات العقلاء من عموم المُخاطَبين من السّادات، والمراد مَنْ يقع الإكراه منه في الفعل المحرّم، أيّاً كان اسمه أو رسمه، فالمراد بالشرط العموم والإبهام.

### دلالة المضارع في: ﴿يُكْرِهَنَّ﴾:

فعلُ الإكراه في قوله: ﴿وَمَنْ يُكْرِهَنَّ﴾، مضارعٌ في حيز الشرط، فيدلُّ على الاستقبال، أي: ومن يكرهنّ بعد هذا البيان الذي قامت

الفِعْلُ يفيد  
الاستقبال،  
وهو متضمّن  
مع ذلك معنى  
الوعيد

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، العجم الاشتقاقي: (عرض)، والبقاعي، نظم الدرر: 269 / 13، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 173 / 6.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 174 / 6.

به الحجّة، وانقطعت به الأعذار<sup>(1)</sup>، فالعصيانُ بعد البيان لا عذرٌ لصاحبه فيه.

### نكتة حذف متعلق الإكراه:

حُذِفَ متعلق الإكراه؛ للعلم به، بِسَبْقِ الدَّلالةِ عليه بقوله: ﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾، فالتقدير: ومن يكرههنَّ على البغاء، ولأنَّه من الألفاظ التي لا يحسن ذكرها؛ إذا أمكن الاستغناء عنها، أو التكنية عن التصريح بها.

### بلادة حذف جواب الشرط:

حُذِفَ جوابُ الشرط من قوله: ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ﴾؛ إيجازاً واكتفاءً بدليل الجواب عليه، ودليل جواب الشرط، هو قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، والتقدير: (فلا إثم عليهنَّ فَإِنَّ اللَّهَ غفور رحيم)، ودليلُ الجواب هنا أوفى من الجواب، ولذا اكتفي به عنه؛ لأنَّ ذِكْرَ المغفرة والرحمة هو الذي أزال الإثم بعد حصوله، فبمقتضى المغفرة والرحمة لم يُحْتَسَبِ الإثم عليهنَّ، ومن غير المغفرة والرحمة، فالإثم حاصلٌ باقٍ، فإن قيل: وهل عليهنَّ إثمٌ بعد إكراههنَّ؟ فيجواب: بأنَّ تقرير ذلك هو الغرض من الختم بدليل الجواب؛ ليدلَّ به على أنَّ الإكراه عذرٌ يمنع المؤاخَذة على الإثم، ولا يمنع وجودَ الإثم، فالمُكْرَهُ قد لا يخلو من قصدٍ وطوعية بعد تلبُّسه بالفعل الذي أكرهه عليه، بدافع الطبيعة البشرية، فهنا يقع منه إثمٌ مغفوقٌ بقوة الغفور الرحيم، كذلك الأمة المُكْرَهة هنا على البغاء، فهي وإن كانت مكرهَةً، فربَّما لا تخلو في تضاعيف الرُّنَى عن شائبة مطاوعة، إمَّا بحكم الجبلة البشرية، أو لأنَّ الإكراه في حقيقته قاصرٌ عن حدِّ الإلجاء المزيل للاختيار بالكلية<sup>(2)</sup>.

الإعراض عن  
تكرير لفظ  
(البغاء) اكتفاء  
بموضعه الأوّل

الإكراه لا ينفي  
الطوعية  
المطلقة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 227 / 18.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 174 / 6.

## دلالة الختم بصفتي المغفرة والرحمة:

ختم الفاصلة بجعل المغفرة والرحمة مُقابل الإكراه الواقع بهنَّ، فيه تهويلٌ لأمر الزنى، واستنهاضٌ للمُكْرَهَاتِ على الثَّبات والتشدد في التجافي عن الفاحشة، استبقاءً منهنَّ لمغفرة الله ورحمته التي وُعدنَ بها، مع ما في الختم من التشديد في تحذير المَكْرِهين من السَّادات، بالإلماح إلى أنَّ المُكْرَهَاتِ كُنَّ عُرْضَةً للعقوبة، لولا أنَّ تداركتهنَّ المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن، فكيف حال مَنْ يَكْرِهُهُنَّ في استحقاق العقاب؟ ففي الختم تعريضٌ بالسَّادات بأنَّهم في محلِّ المؤاخَذَةِ وعدم الإفلات من عاقبة الانفلات<sup>(1)</sup>.

## معنى الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ رابطةٌ لجواب الشرط، واقترانها بالجواب هنا واجب؛ لكون الجواب جملة اسميَّة لا تصلح أن تكون شرطاً، واختير الرِّبْطُ بالفاء في الشرط؛ لما فيها من الدَّلالة على معنى السببيَّة؛ إذ يلزم لانعقاد الشرطيَّة كون الأوَّل سبباً للثاني، فالإكراه سببٌ لحصول المغفرة والرحمة، ولذا كان عائد الجواب مُقدِّراً بضمير المُكْرَهَاتِ، لا بضمير المُكْرِهين، أي: (غفورٌ ورحيمٌ لهنَّ)؛ لأنَّ الإكراهَ عذرٌ للمفعول، وذنْبٌ عظيمٌ للفاعل، فكان المفعول هو المستحقُّ للمعذرةِ بالمغفرة، والفاعل (المُكْرَه) هو المستحقُّ للتعزيز والمؤاخَذة<sup>(2)</sup>.

## فائدة حرف التوكيد في جملة الجواب:

جملة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تعليلٌ للجواب المقدَّر بعد الفاء، فهي دليل الجواب، والتَّقدير: (ومن يكرههنَّ؛ فالإثم عليه، ولا إثم عليهنَّ؛ لأنَّ الله غفور رحيم)، فحرف (إنَّ)

إعذار المَكْرَه  
وتهديد المَكْرِه

يلزم لانعقاد  
الشرطيَّة كون  
الأوَّل سبباً  
لِلثاني

إغناء حرف  
التوكيد عن  
حرف التعليل

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 174.

(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6 / 377.

في هذا السياق يفيد التعليل، ويُعني عن لام التعليل، ويصح أن تكون الجملة الاسمية هي الجواب، والوجهان قريبان<sup>(1)</sup>.

### نكتة التعبير بالاسم الأعظم الجليل:

التعبير باسم الألوهية الأعظم في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾، إعلامٌ للإماء المستضعفات المكرهات، بأنه ناصرهنَّ ومُخْلِفاتٌ عليهنَّ بالعِوضِ رحمةً بهنَّ ومغفرةً لهنَّ، وفي هذا إشعارٌ بغلبته على أسيادهنَّ القوادين، وأنه ذو المهابة والجلال، فيستحقُّ منهنَّ ألاَّ يئأسوا من رحمته، ويستحقُّ من ساداتهنَّ ألاَّ يأمنوا من انتقامه.

### معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ﴾:

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ ابتدائيةٌ، وسيقت قبل الظرف؛ لتسريع إنشاء المغفرة والرحمة لهنَّ فورَ حصول الإكراه لهنَّ، كأنه قيل: تُدرِكهنَّ رحمةُ الله ومغفرته بعد إكراههنَّ فوراً، فسرَّعان ما تزول عنهنَّ وحشةُ الإكراه ولوثة آثار البغاء، بستر المغفرة، وأنس الرحمة.

### غرض تقديم شبه الجملة ﴿مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾:

توسيطُ شبه الجملة: ﴿مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ بين اسم (إنَّ) وخبرها: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ للإيدان بأنَّ ذلك الإكراه هو السبب للمغفرة والرحمة أن تُدرِكهنَّ<sup>(2)</sup>.

### نكتة الإظهار في موضع الإضمار في شبه الجملة:

لم يقل في السياق الكريم: (ومن يكرههنَّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)؛ للتنبية على أنَّ المغفرة والرحمة حاصلةٌ لهنَّ بسبب إكراههنَّ، ولو قال: (من بعد ذلك)؛ لأوهم أنَّها حاصلةٌ للسادات بسبب إكراههنَّ، فيكون فيه إفساحٌ للظالم بما يُحسّر المظلوم.

الاسم الجليل  
يربي الهابة  
والخوف في  
قلوب المخطئين  
لأدراغاء  
وتصحيح المسار

الله مع المنكسرة  
قلوبهم يجبرهم  
برحمته،  
ويسترهم  
بمغفرته

إفساح  
للمظلوم بما  
يُحسّر الظالم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 228 / 18، وصافي، الجدول: 260 / 9.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 174 / 6.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،  
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38

[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 36، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-79-2

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 36: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-78-5

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»